مجد الدين بن الأثير

ومنهجه في التأليف

الدكتور سمير سعيد كجّو

هو المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانيّ الجَزَريّ الموصليّ الشّافعيّ . يكنّى أبا السّعادات ، ويلقّب مجد الدين ، ويعرف بابن الأثير* .

ينتسب إلى أسرة عربية شيبانية عريقة النسب ، ذائعة الصيت ، يعرفها كلّ من اتّصل بالتراث العربي ، واطلع على المكتبة العربيّة .

فوالده هو أثير الدين أبو الكرم محمد ، من أهل جزيرة ابن عمر[1] ومن علية القوم فيها ، كان ثريّاً له تجارة رائجة[2] ، كما كانت له ضياع

---

* مصادر الترجمة : أتابكة الموصل لعزّ الدين بن الأثير ، إنباه الرواة للقفطي ٣ / ٢٥٧ ـ ٢٦٠ . البداية والنهاية لابن كثير ١٣ / ٥٤ ، بغية الوعاة للسيوطي ٢ / ٢٧٤ ـ ٢٧٥ ، ذيل الروضتين لأبي شامة ص ٦٨ ، شذرات الذهب لابن العماد ٥ / ٢٢ ـ ٢٣ ، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٥ / ١٥٣ ـ ١٥٤ ، الفوائد البهية في طبقات الحنفية للكنوي ٣٥ ، المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ٢ / ٧٠٦ ، مرآة الجنان لليافعي ٤ / ١١ ، معجم الأدباء لياقوت ١٧ / ٧١ ـ ٧٧ ، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٦ / ١٩٨ ـ ١٩٩ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ٤ / ١٤١ ـ ١٤٣ .

(١) معجم الأدباء ١٧ / ٧٧ .

(٢) يذكر ابنه عز الدين أن الفرنج نهبوا تجارته مرة سنة ٥٦٧ هـ باللاذقية ، وأخذوا منها مركبين مملوءين بالأمتعة (أتابكة الموصل ص ٢٧٠) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبساتين بالجزيرة وبالعقيمة مقابل الجزيرة . قال عزّ الدّين بن الأثير[٣] : كان من جملة أعمال جزيرة ابن عمر قرية تُسمى العقيمة مقابل الجزيرة من الجانب الشرقي ... وكان لنا بها عدة بساتين . وعنه أنه قال[٤] : كان لي فيها ملك كثير . وجمع إلى جانب الثراء الجاه والمنصب الرفيع ، وقد احتلّ مكانة مرموقة في الدولة عند آل زنكي أتابكة الموصل فعهد إليه قطب الدين مودود بولاية الجزيرة وتولّي خراجها ، ثمّ زاده تقريباً فولاّه الخزانة العامّة ، وانتقل بهذا المنصب إلى الموصل مع أسرته سنة ٥٦٥ هـ وظلّ يعمل في خدمة الأتابكة إلى أن استعفى وتولّى بعده ابنه مجد الدّين خدمة عزّ الدّين مسعود[٥] .

عرف أثير الدين بسداد الرأي ورجاحة العقل والحكمة والدهاء والعفّة والابتعاد عن الجشع . روى ابنه عزّ الدين مادار بينه وبين قطب الدين فقال[٦] نقلاً عنه : « دخلت إليه مرّة فسألني عما أتولاه من الأعمال وأحوال الرعية فيها . وأنا أخبره عما سألني عن القرايا التي بها خاصّة ومن يتولّى قسمتها واستخلاص أموالها . فقلت له : أنا أفعل ذلك بنفسي . فقال : ومالذي قُرّر لك عليها في مقابل تعبك ؟ فقلت : لي من إنعام مولانا مالا حاجة لي إلى تقرير شيء آخر ، ثمّ المقرّر لي من الجامكية[٧]

---

(٣) السابق ص ٢٧١ .

(٤) الكامل في التاريخ لعز الدين بن الأثير ٩ / ١٠٧ ، والأعلاق الخطيرة لابن شداد ٣ / ٢٢٥ ، أتابكة الموصل ص ٢٧١ .

(٥) أتابكة الموصل : ٣٤١ .

(٦) السابق : ص ٢٧٠ .

(٧) الجامكية والجومك : رواتب خدّام الدولة ، تعريب جامكي وهو مركب من (جامه) أي قيمة ومن (كي) وهو أداة النسبة (الألفاظ الفارسيّة لأدّي شير ٤٥) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والرسوم ، إنّما هو على أعمالي من جملتها هذه القرايا . فقال : لا يجوز تتعب بغير فائدة ثم أمر لي بعمالة خاصّة جميعها في بلاد الجزيرة ، ولما خرجت رأيتها كثيرة يحصل منها مايزيد على سبعمائة دينار أميري ، وليس لي بها من العمل كثير أمر ، فقلت في نفسي : ربما لايعلم مقدارها ، فإذا علمه يظن أنني اغتنمت غرّته ، فأرسلت له مع صاحبه أقول له : إن هذه العمالة يتحصل منها في هذا الرّخص كذا وكذا ديناراً ، وأنا أقنع ببعض ذلك . قال : فلما سمع قولي ضحك وقال : هذا كلام رجل عاقل والجميع له . كذلك عرف أثير الدّين بحبه لأهل جزيرته وبالوفاء والإخلاص لرؤسائه ، ذكر ابنه عز الدين المؤرخ على لسانه أنه قال[٨] : استدعاني قطب الدين يوماً وهو بالجزيرة ـ وكنت أتولّى أعمالها له ـ فلما حضرت عنده قال : بلغني أنك تهمل هذه الجبايات ولا تحفظها ، فقلت : إني أعجز عن حفظها لأني أكون في بيتي والدزدار[٩] يفعل في القلعة مايريد ، ثمّ التفاوت ليس بعظيم ، وأخاف من الاستقصاء فيها لو دعي على بعض هؤلاء الملوك ـ وأومأت إلى أولاده ـ لكان شعرة منه تساوي الدنيا ومافيها ، ولنا مواضع تحتمل العمارة يتحصّل منها أضعاف هذا ، فقال : جزاك الله خيراً نصحت وأدّيت الأمانة ، فأسرع في عمارة هذه الأماكن التي تتحمل العمارة . قال : فقفلت وقد كبرت منزلتي عنده ولم يزل يثني عليّ .

ومع أنّ الرّجل لم تكن له اهتمامات بالعلم والاشتغال به والتصنيف

---

(٨) أتابكة الموصل ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .

(٩) دزدار : كلمة فارسية ، تعني حارس القلعة (قاموس الفارسيّة ، د . عبد النعيم محمد حسنين) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فيه ، فإنه أنجب عدداً من الأولاد هيّأ لهم سبل العلم ، ووفّر لهم مستلزماته فنبغ بينهم ثلاثة أغنوا المكتبة العربيّة بمؤلفاتهم . وتركوا آثاراً واضحة تشهد على عبقريّتهم ، وكان أكبرهم مجد الدّين موضوع بحثنا وقد اختار الحديث والفقه واللّغة ، والثاني عزّ الدين المتوفى سنة ٦٣٠ هـ بالموصل وقد تخير التاريخ فأبدع فيه كتاب الكامل ، والثالث ضياء الدّين الأثير المتوفى سنة ٦٣٧ هـ ببغداد الذي آثر البلاغة وصناعة الإنشاء فأبدع كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر .

في كنف هذه الأسرة التي عاشت في بحبوحة وتهيّأ لها من أسباب الثروة والجاه ما تطمح إليه الأنفس وتتشوّق إليه القلوب وتعشو إليه الأنظار ، ولد عالمنا مجد الدين وكانت ولادته في أحد الربيعين سنة أربع وأربعين وخمسمائة هجرية ، إلى ذلك ذهب معظم من ترجم له ، خلا أبا شامة[١٠] الذي ذهب إلى أنّها كانت لسنة أربعين وخمسمائة وتبعه في ذلك ابن تغري بردي[١١] . وقد أجمعت المصادر على أنّه ولد بجزيرة ابن عمر . وهي بلدة صغيرة في إقليم الجزيرة - يومئذ - على الشّاطئ الغربيّ لدجلة شمالي الموصل . وهي مدينة مسوّرة ، اختطّها الحسن بن عمر بن الخطّاب التغلبي[١٢] على ماذكره ياقوت[١٣] . ويذكر ابن خلكان[١٤] أنها سميت

(١٠) ذيل الروضتين ٦٨ .

(١١) النجوم الزاهرة ٦ / ١٩٨ .

(١٢) يذكر ابن شدّاد في كتابه الأعلاق الخطيرة (٣ / ٢١٣) أنّ الحسن اختطها بعد المئتين في أيام المأمون فعرفت به ، وسمّاها ابن شداد في موضع آخر جزيرة بني عمر (٣ / ٥) ، وأضاف ابن خلكان (وفيات الأعيان ٣ / ٣٤٩) أنه رأى في بعض التواريخ أنها جزيرة ابني عمر أوس وكامل ونقل عن تاريخ ابن المستوفي في ترجمة مجد الدين بن الأثير أنه من جزيرة أوس وكامل ابني عمر بن أوس التغلبي ويقول : وأكثر الناس يقولون إنها جزيرة ابن عمر وقيل إنها منسوبة إلى يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقين ، انظر الأعلاق الخطيرة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جزيرة لأن دجلة محيط بها ، وينقل عن الواقدي أنّ الذي بناها رجل من أهل برقعيد[١٥] يقال له عبد العزيز بن عمر وهو الصّواب كما يقول .

في هذه الجزيرة نشأ مجد الدين ، وفيها شبّ وترعرع ، وتلقّى دروسه الأولى في مدارسها[١٦] على أيدي كبار علمائها ممن كان لهم معرفة وافرة باللغة العربية وآدابها ، ودراية كبيرة بعلوم الدين . فقرأ النحو والأدب والفقه وسمع الحديث . ثم انتقل إلى الموصل[١٧] سنة خمس وستين وخمسمائة وسكن بدرب درّاج[١٨] . وهناك أخذ ينهل العلم من شيوخها ، ويتلقّى المعرفة من أساتذتها ، ويتشرب الثقافة من مناهلها ، فأخذت معرفته تنمو ، وثقافته تغزر ، وعلمه يتأصّل وشخصيّته تنضج ، فظهر فضله ، وعلا قدره ، وذاع صيته ، واشتهر أمره ، وعرف بعلمه وورعه وتدينه وحسن سيرته . وأقبل عليه الناس للقراءة والانتفاع .

---

٣ / ٥ ، ومجلة الفكر العربي العدد ٥٢ .

(١٣) معجم البلدان ٣ / ١٠٢ ، وذكر أن الحسن بن عمر كانت له إمرة بالجزيرة وذكر ، قرابة سنة (٢٥٠ هـ) .

(١٤) وفيات الأعيان ٤ / ١٤٣ .

(١٥) بلدة كبيرة من أعمال الموصل (معجم البلدان ١ / ٣٨٧) وذكر صاحب مراصد الاطلاع ١ / ١٨٦ ، أنه يضرب بأهلها المثل في اللصوصيّة فيقال : لص برقعيدي .

(١٦) ذكر ابن شداد في كتابه الأعلاق الخطيرة (٣ / ٢١٤) أنه كان فيها حينئذ أربع مدارس يدرس بها مذهب الإمام الشافعي ، وأنها كانت تضمّ ثمانين مسجداً .

(١٧) وفيات الأعيان ٤ / ١٤٢ ، كانت الموصل حينئذ كما يقول ياقوت (معجم البلدان ٥ / ٢٢٣) إحدى قواعد الإسلام وكانت ملتقى العلماء الأئمة ، كثيرة المساجد والمدارس .

(١٨) ذيل الروضتين ٦٨ ، وهي محلة كبيرة في وسط مدينة الموصل كما يقول ياقوت (معجم البلدان) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تنقّل أبو السعادات بين الجزيرة والموصل وزار الولايات ، وقدم بغداد في طريقه الى الحج وسمع بها جماعة من المتأخّرين[١٩] . ثمّ عاد إلى الموصل واستقر بها . إلى أن وافاه الأجل يوم الخميس سلخ ذي الحجة سنة ست وستمائة هجريّة[٢٠] . ودفن برباطه بدرب درّاج[٢١] ، بعد مرض عضال أصيب به قيل إنّه داء النقرس[٢٢] وقيل إنّه الفالج[٢٣] . وقد أقعده المرض في آخر زمانه ، فكفّ يديه عن الكتابة ، ومنع رجليه من الحركة وصار يحمل في محفّة[٢٤] . فانقطع في بيته يغشاه الأكابر والعلماء ، وأنشأ رباطاً بقرية من قرى الموصل تسمى (قصر حرب) وجعله رباطاً للصوفيّة[٢٥] ، ووقف أملاكه عليه ، وعلى داره التي يسكنها بالموصل[٢٦] .

شغل مجد الدّين بن الأثير منزلة رفيعة عند أمراء الموصل بفضل ماأوتي من علم ومعرفة وماتمتع به من شخصيّة مميّزة لفتت إليه الأنظار ، ومااشتهر به من ورع وتديّن ، وما عرف به من صدق وصلاح وأمانة ، فقرّبه رجال السّلطة ، وأسبغوا عليه المناصب الرّفيعة . قال ابن كثير[٢٧] : كان معظّماً عند ملوك الموصل . وقال أبو شامة[٢٨] : كان أمراء الموصل

(١٩) ذيل الروضتين ٦٨ ، إنباه الرواة ٣ / ٢٥٨ .

(٢٠) انفرد صاحب الفوائد البهية ص ٣٥ ، في أنه توفي في ذي القعدة .

(٢١) شذرات الذهب ٥ / ٢٣ ، النجوم الزاهرة ٦ / ١٩٩ .

(٢٢) ذيل الروضتين : ٦٨ .

(٢٣) شذرات الذهب ٥ / ٢٣ ، مرآة الجنان ٤ / ١١ .

(٢٤) ذيل الروضتين : ٦٨ ، والمحفة : مركب كالهودج إلاّ أن الهودج يقبب والمحفة لاتقبب وسميت بها لأن الخشب يحفّ بالقاعد فيها أي يحيط به (اللسان) .

(٢٥) معجم الأدباء ١٧ / ٧٢ .

(٢٦) وفيات الأعيان ٤ / ١٤٢ .

(٢٧) البداية والنهاية ١٣ / ٥٤ .

(٢٨) ذيل الروضتين ٦٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يحترمونه ويعظمونه ويستشيرونه ، وكان بمنزلة الوزير الناصح ، إلا أنه كان منقطعاً إلى العلم . ويضيف ابن تغري بردي[٢٩] بأنّه كان قليل الملازمة لهم .

روى ياقوت عن أخيه عزّ الدين أنّه قال[٣٠] : تولّى أخي أبو السّعادات الخزانة لسيف الدّين الغازي بن مودود بن زنكي[٣١] ، ثمّ ولاّه ديوان الجزيرة وأعمالها ، ثمّ عاد إلى الموصل ، فناب في الدّيوان عن الوزير جلال الدّين أبي الحسن علي بن جمال الدين محمد بن منصور الأصبهانيّ ، ثمّ اتّصل بمجاهد الدين قايماز[٣٢] فنال عنده درجة رفيعة (فكتب على يديه)[٣٣] فلمّا قبض على مجاهد الدين اتّصل بخدمة أتابك عزّ الدّين مسعود بن مودود (صاحب الموصل وتولّى ديوان رسائله وكتب له)[٣٤] إلى أن توفي عزّ الدين (سنة ٥٨٩ هـ) فاتصل بخدمة ولده نور الدين أرسلان شاه (فحظي عنده وتوفّرت حرمته لديه وكتب له مدّة)[٣٥] وصار واحد دولته حقيقة بحيث إنّ السلطان كان يقصد منزله في مهامّ نفسه لأنه أقعد في آخر زمانه ... أو يرسل إليه بدر الدين لؤلؤ الذي هو اليوم أمير الموصل .

---

(٢٩) النجوم الزاهرة ٦ / ١٩٨ .

(٣٠) معجم الأدباء ١٧ / ٧٢ .

(٣١) هو السلطان سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن أتابك زنكي التركي صاحب الموصل توفي سنة ٥٧٦ هـ .

(٣٢) هو مجاهد الدين قايماز بن عبد الله الخادم الحاكم على الموصل : وكان نائب المملكة توفي ٥٩٤ هـ (وفيات ٤ / ١٤٢ والنجوم ٦ / ١٤٤) .

(٣٣) وفيات الأعيان ٤ / ١٤٢ .

(٣٤) السابق نفسه .

(٣٥) السابق نفسه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كان مجد الدين من أهل العلم ، تدفعه رغبة عميقة في الاستكثار منه ، والاستزادة في تحصيله ، وكان عزوفاً عن الدنيا ، زاهداً في السلطة ، نابذاً أضواءها ، رافضاً مغرياتها وكان منقطعاً للدرس والتحصيل ، متفرغاً للعلم والتقوى ؛ ويحدثنا ياقوت نقلاً عن أخيه المؤرخ عزّ الدين أنّه رفض منصب الوزارة الذي عرضه عليه نور الدين غير مرّة . قال[٣٦] : حدثني أخوه المذكور يعني عزّ الدين قال : حدّثني أخي أبو السّعادات قال : لقد ألزمني نور الدين بالوزارة غير مرّة وأنا أستعفيه حتى غضب منّي وأمر بالتوكيل بي قال : فجعلتُ أبكي فبلغه ذلك ، فجاءني وأنا على تلك الحال فقال لي : أبَلَغَ الأمر إلى هذا ؟ ماعلمت أن رجلاً ممّن خلق الله يكره ماكرهت . فقلت : أنا يامولانا رجل كبير ، وقد خدمت العلم عمري ، واشتهر ذلك عنّي في البلاد بأسرها ، وأعلم أنّني لو اجتهدت في إقامة العدل بغاية جهدي ماقدرت أؤدّي حقّه ، ولو ظَلَم أكّار[٣٧] في ضيعة من أقصى أعمال السلطان لنسب ظلمه إليّ ، ورجعت أنت وغيرك باللائمة عليّ ، والملك لايستقيم إلاّ بالتسمّح في العَسْف[٣٨] وأخذ هذا الخلق بالشدّة وأنا لاأقدر على ذلك فأعفاه ، وجاءنا إلى دارنا فخبرّنا بالحال . فأمّا والده وأخوه فلاماه على الامتناع ، فلم يؤثر اللّوم عنده أسفاً وذكر ذلك في قصّة طويلة بتفاصيلها إلاّ أنّ هذا الذي ذكرته هو معناها .

وهكذا قضى مجد الدين حياته ، حتّى ابتلي بذلك المرض الذي

(٣٦) معجم الأدباء : ١٧ / ٧٣ .

(٣٧) الأكّار : الحرّاث .

(٣٨) أي التساهل فيه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أقعده فقابله بنفس راضية مطمئنّة ووجد في ذلك فرصة يخلو فيها بنفسه ، ويعيش بقيّة عمره حرّاً كريماً مسلماً من الذلّ ، منقطعاً للعلم والتّأليف فيه ، بعيداً عن مشاغل الدنيا وضوضاء الناس ، فانقطع في بيته يؤلف ويغشاه الأكابر والعلماء . وحكى أخوه عزّ الدين[٣٩] أنّه لمّا أقعد جاءهم رجل مغربيّ شرط على نفسه أنه يبرئه ممّا هو فيه ، وأنّه لا يأخذ أجراً إلاّ بعد برئه ، فملنا إلى قوله ، وأخذ في معالجته بدهن صنعه ، فظهرت ثمرة صنعته ولانت رجلاه وصار يتمكن من مدهما ، وأشرف على كمال البرء فقال لي : أعطِ هذا المغربيّ شيئاً يرضيه واصرفه ، فقلت له : لماذا وقد ظهر نجحُ معاناته ؟ فقال : الأمر كما تقول ، ولكنّي في راحة مما كنت فيه من صحبة هؤلاء القوم والالتزام بأخطارهم ، وقد سكنت روحي إلى الانقطاع والدعة ، وقد كنت بالأمس وأنا معافى أذلّ نفسي بالسعي إليهم ، وها أنا اليوم قاعد في منزلي ، فإذا طرأت لهم أمور ضرورية جاءوا إليّ بأنفسهم لأخذ رأيي ، وبين هذا وذاك كثير ، ولم يكن سبب هذا إلاّ هذا المرض ، فما أرى زواله ولامعالجته ، ولم يبق من العمر إلاّ القليل ، فدعني أعش باقيه حرّاً سليماً من الذل ، وقد أخذت منه بأوفر حظّ . قال عز الدين : « فقبلت قوله وصرفت الرّجل بإحسان » .

وهكذا سكنت روحه إلى الانقطاع ، وخلدت نفسه إلى الدّعة ، وأصبح ، وهو مريض مقعد ، محجّة طلاب العلم[٤٠] ومهوى أفئدتهم ومرجع السائلين يغشاه الأكابر والعلماء إلى أن وافاه الأجل .

---

(٣٩) وفيات الأعيان ٤ / ١٤٢ ـ ١٤٣ وإنباه الرّواة ٣ / ٢٥٩ .

(٤٠) وفيات الأعيان ٤ / ١٤١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قال فيه ابن المستوفي[٤١] : أشهر العلماء ذكراً ، وأكبر النبلاء قدراً ، وأوحد الأفاضل المشار إليهم ، وفرد الأماثل المعتمد في الأمور عليهم . وقال فيه ابن خلكان[٤٢] : كان ورعاً ، عاقلاً مهيباً ، ذا برٍّ وإحسان . وقال فيه ياقوت[٤٣] : كان عالماً فاضلاً ، وسيّداً كاملاً . وقال فيه أبو شامة[٤٤] : كاتب مصنّف وصدر كبير . وقال السيوطي[٤٥] : من مشاهير العلماء ، وأكابر النبلاء ، وأوحد الفضلاء .

نقل القفطي[٤٦] عن أخيه أبي الحسن عز الدين أنه رآه بعد موته في المنام ، وأن نجاسة قد آذته . قال : فاستقصيت وبحثت عن صحة هذه الرؤيا ، فوجدت أحد الأهل قد أطلق غنماً له فوق سطح الصُّفَّة التي هو فيها مدفون ، وقد كثر مايخرج من أجوافها فوق ذلك الموضع ، فأزلته ونظّفته مما حصل فيه .

شيوخه ومن رووا عنه :

تلمذ مجد الدين بن الأثير لجماعة من العلماء الأفاضل . فأخذ النحو والأدب عن أبي محمد سعيد بن المبارك بن عليّ الدّهان البغدادي النحوي المتوفى سنة ٥٦٩[٤٧] هـ ، كما أخذ النحو عن أبي الحرم مكّيٍّ بن الريّان بن شبَّة بن صالح الماكسينيّ النحويّ الضرير نزيل الموصل المتوفى

(٤١) السابق نفسه .

(٤٢) شذرات الذهب ٥ / ٢٢ .

(٤٣) معجم الأدباء ١٧ / ٧١ .

(٤٤) ذيل الروضتين ٦٨ .

(٤٥) بغية الوعاة ٢ / ٢٧٤ .

(٤٦) إنباه الرواة : ٣ / ٢٥٩ .

(٤٧) وفيات الأعيان ٤ / ١٤١ ، ومعجم الأدباء ١٧ / ٧١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٦٠٣[٤٨] هـ ، وعن يحيى بن سعـــدون القرطبي النحـويّ اللغـويّ المقرئ الأديب المتـوفى في الموصـل سنـة ٥٦٧[٤٩] هـ ، وعن أبي محمّـد اسماعيـل بن المبارك[٥٠] .

وسمع الحديث من أبي الحرم مكّيّ الماكسيني وقرأ عليه كتاب الموطـأ في مـدةٍ آخرهـا شهور سنـة ثمـان وثمـانين وخمسمائـة بـالموصل[٥١] . كما سمع الحـديث من أبي الفضل عبـد الله بن أحمـد بن محمـد الطوسي المتـوفى سنـة ٥٧٨[٥٢] هـ ومن عبـد الوهـاب بن سُكينـة الصـوفيّ الشّـافعي المتـوفى سنـة ٦٠٧[٥٣] هـ ومن أبي القاسم صاحب ابن الخَلّ[٥٤] .

قرأ صحيح البخاري على الشيخ جمال الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن سرايا بمدينة الموصل في مدّة آخرهـا شهور سنـة ٥٨٨ هـ[٥٥] . وقرأ صحيح مسلم على الشيخ الإمام الثقة أبي ياسر عبد الوهـاب بن هبـة الله بن عبـد الوهاب بن أبي حيّة البغدادي بمـدينـة الموصل في شهور سنـة ٥٨٧[٥٦] هـ . وأجازه الشيخ ضياء الدين أبو أحمد عبـد الوهـاب بن علي بن علي الأمين وسمع منه صحيح مسلم في سنـة (٥٨٥ هـ)[٥٧] . وقرأ عليـه كتـاب السنن

---

(٤٨) معجم الأدباء ١٧ / ٧١ ، إنباه الرواة ٣ / ٢٥٨ .

(٤٩) بغية الوعاة ٢ / ٢٧٤ .

(٥٠) مرآة الجنان : ٤ / ١١ .

(٥١) جامع الأصول ١ / ٢٠٠ ، إنباه الرواة ٣ / ٢٥٨ .

(٥٢) إنباه الرواة ٣ / ٢٥٨ .

(٥٣) معجم الأدباء ١٧ / ٧٢ ، وبغية الوعاة ٢ / ٢٧٤ .

(٥٤) معجم الأدباء ١٧ / ٧٢ .

(٥٥) جامع الأصول لمجد الدين نفسه ١ / ١٩٨ .

(٥٦) جامع الأصول لمجد الدين نفسه ١ / ١٩٩ .

(٥٧) السابق ١ / ٢٠٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لأبي داوود ، وأقرّ له به ، وذلك بمدينة السّلام في سنة ٥٨٦ هـ[٥٨] . كما قرأ عليه أيضاً كتاب الجمع بين الصحيحين للحُمَيْدي بظاهر الموصل سنة ٥٨٥ هـ[٥٩] . وقرأ كتاب السنن للنسائي على الشيخ الإمام أبي القاسم يعيش بن صدقة بن علي الفراتي بمدينة السّلام في سنة ٥٨٦ هـ[٦٠] . وسمع كتاب رزين بن معاوية في الحديث من الشيخ الإمام أبي جعفر المبارك بن المبارك بن أحمد بن زريق الحداد المقرئ في سنة ٥٨٩ هـ[٦١] .

روى عنه القفطي المتوفى سنة ٦٤٦ هـ صاحب إنباه الرواة . قال : ورويت عنه ـ رحمه الله ـ وقال : كتب إليّ الإجازة بجميع مصنّفاته ومسموعاته ومروّياته .

كما روى عنه ولده ، والشهاب الطوسيّ ، أبو الفتح محمد بن محمود نزيل مصر وشيخ الشافعيّة المتوفّى سنة ٥٩٦ هـ ، وكان آخر من روى عنه بالإجازة فخر الدين البخاري . كذلك تلمذ عليه في دراسة القرآن والحديث أخوه الأديب ضياء الدين وتولّى تدريس كتبه .

ثقافته :

تلقّى مجد الدين بن الأثير العلم منذ صغره في مدارس بلدته جزيرة ابن عمر ثمّ أتمّه في الموصل وبغداد ، واهتمّ خاصّة بدراسة القرآن والحديث ، وقرأ الفقه والأصول ، كما درس اللغة والنحو ولم ينقطع عن الدراسة وملاقاة العلماء ، وصحبة الكتب وسماع الحديث حتى وفاته .

---

(٥٨) السابق ١ / ٢٠١ .

(٥٩) السابق ١ / ٢٠٤ .

(٦٠) السابق ١ / ٢٠٢ .

(٦١) السابق ١ / ٢٠٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقضى حياة حافلة بالعلم والنشاط ، مشهورة بالصدق والصلاح . قال في مقدمة كتابه جامع الأصول[٦٢] : « مازلت في ريعان الشباب ، وحداثة السن ، مشغوفاً بطلب العلم ، ومجالسة أهله ، والتشبّه بهم حسب الإمكان ، وذلك من فضل الله علي ولطفه بي أن حبّبه إليّ ، فبذلت الوسع في تحصيل ما وفقت له من أنواعه ، حتّى صارت فيّ قوة الاطلاع على خفاياه ، وإدراك خباياه ، ولم آل جهداً ـ والله الموفّق ـ في إجمال الطلب ، وابتغاء الأرب ، إلى أن تشبثت من كلّ علم بطرف تشبهت فيه بأضرابي ولا أقول : تميّزت به على أترابي ولله الحمد على ماأنعم به من فضله .... » .

قال ياقوت[٦٣] : كان عالماً فاضلاً وسيّداً قد جمع بين علم العربية والقرآن والنحو واللغة والحديث وقال ابن خلّكان[٦٤] : كان فقيهاً محدّثاً أديباً نحويّاً عالماً بصنعة الحساب والإنشاء ... وقال أبو الفداء[٦٥] : كان مجد الدين عالماً بالفقه والأصول والنحو والحديث واللغة ، وله تصانيف مشهورة ، وكان كاتباً مفلقاً . وقال ابن كثير[٦٦] : سمع الحديث الكثير وقرأ القرآن وأتقن علومه ، وحرّرها ، وقد جمع في سائر العلوم كتباً مفيدة ، وقال اليافعي[٦٧] : له المصنّفات البديعة والرسائل الوسيعة .

وفضلاً عن ذلك ، فإن مجد الدين قال الشعر ، ولكنه كان مقلا

---

(٦٢) جامع الأصول ١ / ٣٥ .

(٦٣) معجم الأدباء ١٧ / ٧١ .

(٦٤) شذرات الذهب ٥ / ٢٢ ـ ٢٣ .

(٦٥) المختصر في أخبار البشر ٦ / ٧ .

(٦٦) البداية والنهاية ١٣ / ٥٤ .

(٦٧) مرآة الجنان ٤ / ١١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فيه ، فقد روى أخوه عز الدين أنه حدثه مرة فقال[٦٨] : كنت أشتغل بعلم الأدب على الشيخ أبي محمد سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي البغدادي بالموصل وكان كثيراً مايأمرني بقول الشعر ، وأنا أمتنع من ذلك قال : فبينا أنا ذات ليلة نائم رأيت الشيخ في النوم ، وهو يأمرني بقول الشعر فقلت له : ضع لي مثالاً أعمل عليه فقال :

جُبِ الفلا مدمناً إن فاتك الظفرُ وخُدَّ خَدَّ الثرى والليلُ معتكرُ

فقلت أنا :

فالعزّ في صهوات الخيل مركبُه والمجدُ يُنْتِجُه الإسراءُ والسَّهَرُ

فقال لي : أحسنت ، هكذا فقل : فاستيقظت فأتممت عليها نحو العشرين بيتاً . وقد أورد له ياقوت بعض شعره رواية عن أخيه عز الدين ونقل قوله : كان أخي قليل الشعر لم يكن له به تلك العناية ، وما أعرف الآن له غير هذا . قال ابن خلّكان[٦٩] : له شعر يسير ، وأورد له شعراً أنشده للأتابك صاحب الموصل وقد زلّت بغلته .

وهكذا تمثلت فيه ثقافة الأديب الموسوعية ، وتوافرت فيها عناصرها القائمة على مبدأ الأخذ من كل علم بطرف ، وهو مفهوم ينسحب على أقرانه الأدباء ونظائره العلماء في عصور الأدب العربي القديم بعامة في الأغلب الأعم .

خلّفَ مجد الدين آثاراً طيبة تنم عن ثقافته المتشعبة ، وتشير إلى علمه الوفير ومعرفته الغزيرة ، خلدت اسمه في مكتبتنا العربية ، وشغلت مكاناً متصدراً فيها ، تفرّغ لها ـ كما أشرنا سابقاً ـ في مدة مرضه ، فقام

(٦٨) معجم الأدباء ١٧ / ٧٣ ـ ٧٦ .

(٦٩) وفيات الأعيان ٤ / ١٤٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بتصنيفها تعينه جماعة في الاختيار والكتابة أملاها إملاء ، لأن مرضه كفّ يديه عن الكتابة . وهي :

١ ـ الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشّاف : والأول هو تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن لأبي إسحاق الثعلبيّ المتوفى سنة ٤٢٧ هـ ، والثاني هو تفسير الكشّاف عن حقائق التأويل لأبي القاسم الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ . قال ياقوت[٧٠] : أربع مجلدات . ووصفه صاحب كشف الظنون[٧١] بأنّه تفسير كبير ، وذكره ابن تغري بردي[٧٢] .

٢ ـ الباهر في الفروق في النحو . ذكره ياقوت والسيوطي وحاجي خليفة[٧٣] .

٣ ـ البديع في النّحو : ذكره ياقوت والقفطي والسيوطي ، وذكره ابن خلّكان والسبكي وابن تغري بردي[٧٤] باسم : البديع في شرح الفصول لابن الدهان . قال عنه ياقوت[٧٥] :بوّبه تبويباً عجيباً . ومنه نسخة خطيّة بمكتبة عاطف أفندي بتركيا برقم ٢٤٤٦ ، وورد اسمه البديع في علم العربية ، وجاء في وصفه[٧٦] : إنّه في الصرف والنحو والكتابة والشعر

---

(٧٠) معجم الأدباء ١٧ / ٧٦ .

(٧١) كشف الظنون ١٨٢ .

(٧٢) النجوم الزاهرة ٦ / ١٩٨ .

(٧٣) معجم الأدباء ١٧ / ٧٦ ، بغية الوعاة ٢ / ٢٧٤ ، كشف الظنون ٢١٩ وسماه : الباهر في النحو .

(٧٤) معجم الأدباء ١٧ / ١٦ ، بغية الوعاة ٢ / ٢٧٤ ، وفيات الأعيان ٤ / ١٤١ ، طبقات الشافعية ٥ / ١٥٤ ، النجوم الزاهرة ٦ / ١٩٨ .

(٧٥) معجم الأدباء ١٧ / ٧٦ .

(٧٦) نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا ، جمعها رمضان ششن (دار الكتاب الجديد بيروت ١٩٧٥) ج ١ ص ٣٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والخطابة ورتبه في عشرين باباً . أوله : أما بعد : ... فإنك أيها الأخ أبقاك الله ورعاك لما قرأت كتاب بغية الراغب في تهذيب الفصول النحوية رأيته في غاية مايمكن من الاختصار ويمكن من الإيجاز مع مااشتمل عليه من الشرائط ، وحواه من الأحكام والضوابط . وكنت في مزاولة هذا الفن .... رغبت إلى جمع كتاب تنير طرق فهمه وتتضح مذاهب معرفته فأجبتك إلى ماسألت .... .

٤ ـ تجريد أسماء الصّحابة[٧٧] . طبع في حيدر آباد سنة ١٣١٥ هـ .

٥ ـ تهذيب فصول ابن الدّهان . ذكره ياقوت والسيوطي وحاجي خليفة[٧٨] وهو في النحو ويبدو أن اسمه كما ورد في مقدمة كتاب البديع هو بغية الراغب في تهذيب الفصول النحوية .

٦ ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول . جمع فيه بين البخاري ومسلم والموطأ وسنن أبي داؤد وسنن النسائي والترمذي . ورتّبه على حروف المعجم ، وشرح غريب الأحاديث ومعانيها وأحكامها ، ووصف رجالها ، ونبّه على جميع مايحتاج إليه منها . طبع في القاهرة سنة ١٣٦٨ هـ بعناية الشيخين عبد المجيد سليم وحامد الفقي ، وطبع في الهند سنة ١٣٤٦ هـ ، كما طبع بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط سنة ١٩٦٩ م وصدر عن مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ومكتبة دار البيان في بيروت .

٧ ـ ديوان رسائل : ذكره ابن خلكان ، وياقوت وابن تغري بردي[٧٩] . ومنه نسخة خطية بالقاهرة ثان ٣ / ١٥٨ أشار إليها

(٧٧) لم يرد في مظان ترجمته ، وإنما ذكره بروكلمان في كتابه ٦ / ١٩٨ .

(٧٨) معجم الأدباء ١٧ / ٧٦ ، بغية الوعاة ٢ / ٢٧٤ ، كشف الظنون ١٢٦٥ .

(٧٩) وفيات الأعيان ٤ / ١٤١ ، معجم الأدباء ١٧ / ٧٦ ، النجوم الزاهرة ٦ / ١٩٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بروكلمان[٨٠] .

٨ ـ رسائل في الحساب مُجَدْوَلات[٨١] ذكرها ياقوت[٨٢] .

٩ ـ الشافي في شرح مسند الشافعي . قال عنه ياقوت[٨٣] : أبدع في تصنيفه ، فذكر أحكامه ولغته ونحوه ومعانيه نحو مائة كرّاسة ، طبع في ارا بالهند سنة ١٣٠٦ هـ وفي القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ .

١٠ ـ شرح غريب الطوال . ذكره ابن السبكي[٨٤] .

١١ ـ الفروق والأبنية في النحو ذكره ابن السبكي[٨٥] . ولعله الباهر في الفروق في النحو عند ياقوت[٨٦] والسيوطي[٨٧] .

١٢ ـ كتاب في صنعة الكتابة . وصفه ابن خلكان[٨٨] بأنّه كتاب لطيف . وذكره ابن تغري بردي وابن العماد الحنبلي[٨٩] .

١٣ ـ المختار في مناقب الأخيار . قال ياقوت[٩٠] : في أربع مجلدات ومنه نسخة خطية بلندن برقم ١٠٩٠ ونسخة بمكتبة فيض الله باستانبول

---

(٨٠) تاريخ الأدب العربي ، بروكلمان ٦ / ١٩٨ .
(٨١) أي مقسمة إلى جداول لتسهيل تناولها .
(٨٢) معجم الأدباء ١٧ / ٧٦ .
(٨٣) السابق نفسه .
(٨٤) طبقات الشافعية ٥ / ١٥٣ .
(٨٥) السابق نفسه .
(٨٦) معجم الأدباء ١٧ / ٧٦ .
(٨٧) بغية الوعاة ٢ / ٢٧٤ .
(٨٨) وفيات الأعيان ٤ / ١٤١ .
(٨٩) شذرات الذهب ٥ / ٢٢ .
(٩٠) معجم الأدباء ١٧ / ٧٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

برقم ١٥١٦ ، وذكر الدّكتور رمضان ششن عدّة نسخ خطية له في مكتبات تركيا[٩١] .

١٤ ـ المرصّع في الآباء والأمهات ، والأنباء والبنات والأذواء والذوات . طبع في فيمار سنة ١٨٩٦ م بعناية سيبولد الألماني . كما طبع بتحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي سنة ١٩٧١ م في بغداد .

١٥ ـ المصطفى والمختار في الأدعية والأذكار ، ذكره ابن خلكان وابن تغري بردي وابن السبكي وابن العماد واللكنوي[٩٢] .

١٦ ـ منال الطالب في شرح طوال الغرائب . وأشار إليه السبكيّ باسم شرح غريب الطوال . وقد نشر بتحقيق الدكتور محمود الطناحي ، وصدر عنه جامعة أم القرى بمكة سنة ١٩٨٣ م .

١٧ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر . طبع في طهران ١٢٦٩ هـ ، ثم في القاهرة ١٣٠٨ هـ ، ١٣١١ هـ و ١٣٢٢ هـ وصدر أخيراً عن مكتبة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة ١٩٦٣ ـ ١٩٦٥ بتحقيق الطاهر الزاوي ومحمود الطناحي .

منهجه في التأليف

إنّ أوّل مايلفت الدارس لكتب مجد الدين بن الأثير ، هو ذلك المنهج المحكم الذي تقوم عليه كتبه وهو منهج يمكن وصفه ـ بادئ ذي بدء ـ بأنّه منهج واضح المعالم ، قريب المقصد ، سهل المأخذ ، يصل فيه القارئ أو الباحث إلى مبتغاه دون أدنى جهد ، لأنّ صاحبه توخى فيه

(٩١) نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا ١ / ٣١ ـ ٣٢ .

(٩٢) وفيات ٤ ـ ١٤١ ، والنجوم ٦ / ١٩٨ وطبقات الشافعية ٥ / ١٥٢ ، وشذرات الذهب ٥ / ٢٢ ، والفوائد البهية ٣٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تيسير الفائدة منه ، وجعلها تعم فتنتشر ، فتشمل العوام والخواص ، ولا تختص بفئة معينة من الناس ، وذلك بتيسير سبل البحث في مؤلفاته ، وتخيّر مادتها ، وطريقة عرضها ، الأمر الذي يكسب كتبه طابعاً جماهيرياً ، ويستدل منه على عقلية الرجل المعلم المؤلف الذي يمتلك موضوع كتابه ، ويحيط به إحاطة تامة تمكنه من توضيح عناصره بسهولة ويسر ، ووضوح وجلاء ، وبطريقة تؤدي إلى الإفهام والإقناع من خلال اطلاعه الوافي على مظانّ كتبه ، واستيعابه لمفردات اللغة ومعرفته لأساليبها ، ومقدرته الفائقة في توظيف الشواهد وحسن استخدامها .

وقد حرص على أن يكون منهج كتبه واضحاً لاغموض فيه ولاإبهام ، ليسهل تناول الكتاب ويقرب مأخذه ، ولذلك أسهب في شرح منهج كتبه شرحاً وافياً في مقدمات كتبه ، كما حرص على عرض مادتها بأسلوب واضح لاغرابة فيه ولااستيحاش ، لتكون المادة العلمية التي يقدمها قريبة المأخذ ، سهلة المطلب ، لأن هدفه عامة الناس وليس خاصتهم فقط . يقول في مقدمة كتابه جامع الأصول[٩٣] : « ولم أقتصر على ذكر الغريبة التي يحتاج الخواص إلى شرحها . بل ذكرت مايفتقر العوام إلى معرفته زيادة في البيان » . ويقول أيضاً[٩٤] : « ولم أقصد به إلى طلب الأسهل ، فإن كتب الحديث يشتغل بها الخاص والعام والعالم بتصريف اللفظ والجاهل ولو كلفت العامي أن يعرف الحرف الأصلي من الزائد لتعذر عليه ، لكنه يسهل عنده معرفة الحرف الذي هو أول الكلمة من غير نظر إلى أنه أصلي أو زائد » .

---

(٩٣) جامع الأصول ١ / ٦٥ .

(٩٤) السابق ١ / ٦٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كان مجد الدين مدركاً أهداف كتبه والأغراض التي يتوخاها منها ، فهيأ لها المنهج الذي يفي بتلك الأهداف ، ويحقق تلك الأغراض ، لأنّ اختلاف الأغراض - كما يقول[٩٥] - هو الداعي إلى اختلاف التصانيف .

إنّ رغبته في رواج كتبه وذيوعها عن طريق تعميم الفائدة منها ، بتيسير سبل البحث فيها جعله يرسم لها منهجاً يعرض من خلاله مواد كتبه عرضاً منظماً ، مبوباً تبويباً محكماً دقيقاً ، كما قاده إلى توجيه نقد لطيف لمنهج بعض الكتب المصنفة في الموضوع ذاته ، وهو نقد موجه أساساً إلى صعوبة مناهجها ، وتكلفها وعسرها ، ومشقة البحث فيها . يقول في مقدمة كتابه النهاية[٩٦] : « ... فكانت هذه الكتب الثلاثة في غريب الحديث أمهات الكتب ، وهي الدائرة في أيدي الناس التي يعول عليها علماء الأمصار ، إلا أنها وغيرها من الكتب المصنفة التي ذكرناها ، أو لم نذكرها لم يكن فيها كتاب صنف مرتباً ومقفىً يرجع الإنسان عند طلب الحديث إليه إلا كتاب الحربي وهو على طوله وعسر ترتيبه لايوجد الحديث فيه إلا بعد تعب وعناء . ولاخفاء بما في ذلك من المشقة والنَّصَب مع مافيه من كون الحديث المطلوب لايُعرَفُ في أيّ واحد من هذه الكتب هو ، فيحتاج طالب غريب حديث إلى اعتبار جميع الكتب أو أكثرها حتى يجد غرضه من بعضها » . ويقول في كتاب الفائق للزمخشري[٩٧] : « ولقد صادف هذا الاسم مسمّى ، وكشف من غريب الحديث كل معمّى ، ورتبه على وضع اختاره مقفى على حروف المعجم ، ولكن في العثور على طلب الحديث منه كلفة ومشقة ، وإن كانت دون

(٩٥) جامع الأصول : ١ / ٤٦ .

(٩٦) النهاية ١ / ٨ .

(٩٧) النهاية : السابق ١ / ٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

غيره من متقدم الكتب ، لأنه جمع في التقفية بين إيراد الحديث مسروداً جميعه أو أكثره أو أقله ، ثم شرح مافيه من غريب فيجيء شرح كل كلمة غريبة يشتمل عليها ذلك في حرف واحد من حروف المعجم ، فترد الكلمة في غير حرفها ، وإذا تطلّبها الإنسان تعب حتى يجدها ، فكان كتاب الهرويّ أقرب متناولاً ، وأسهل مأخذاً ، وإن كانت كلماته متفرقة في حروفها ، وكان النفع به أتمّ والفائدة منه أعمّ » .

ويؤكدّ مجد الدين مبدأ سهولة المطلب ووضوح المنهج لتيسير الفائدة في غير مناسبة فيقول[٩٨] : وإن نحن أفردنا للشرح كتاباً مستقلاً بنفسه ... فكانت الفائدة تذهب ويزول الغرض ويقول[٩٩] : ليكون أسهل مطلباً للناظرين فيه

هذه المسألة جعلت ابن الأثير يتخير لكتبه منهجاً سديداً يستند على فكرة الترتيب المعجمي ، أي ترتيب مادة الكتاب وعرضها على أساس ترتيب حروف الهجاء (ا ب ت ث) طلباً لتسهيل كلفة الطالب ، وتقريباً على المريد بلوغ الأرب كما يقول[١٠٠] . وممّا لاشكّ فيه أنّ مثل هذا المنهج يستجيب لأغراض التأليف عند ابن الأثير ، وينسجم مع طبيعة المادة العلمية المعروضة في معظم كتبه . الأمر الذي يبرز مجد الدين هذا مؤلفاً متميزاً ، وعالماً بارعاً متفنناً ، يتميز بعقلية معجمية منظمة هيأته لأن يشغل مركزاً مرموقاً بين صناع المعجم العربي .

وكتابه النهاية في غريب الحديث والأثر أقامه على أساس الترتيب

---

(٩٨) جامع الأصول ١ / ٦٥ .

(٩٩) السابق نفسه .

(١٠٠) السابق ١ / ٥٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المعجمي ، حيث وزع مادته على ثمانية وعشرين حرفاً هي عدد حروف الهجاء ، ثمّ قسم مادة كل حرف على أبواب بحسب الحرف الثاني . والإضافة الجديدة إلى الصناعة المعجمية العربية أنه إضافةً إلى أنّه رتّب فيه الكلمات باعتبار الحرف الأول فالثاني ومايليها بعد تجريد الكلمات من حروفها الزّوائد ، فقد أثبت مجموعة من الكلمات في أوائلها حروف زائدة في باب الحرف الذي هو أوّلها وإن لم يكن أصلياً .

صحيح أنّ روّاد المعجم العربي بنوا معجماتهم اللغوية على أساس الحروف الأصول ، وأنّ بعض اللغويين العرب أقاموا ترتيب كتبهم اللغوية على أساس صورة الكلمة معتبرين الحروف الزائدة في ترتيب الكلمات كما فعل ابن ولاّد المصري (ت ٣٣٢ هـ) في كتابه المقصور والممدود والراغب الأصفهاني (٥٠٢) هـ في كتابه المفردات في غريب القرآن ، والجواليقي (٥٤٠ هـ) في كتابه المعرّب على حروف المعجم ، إلا أننا لانقف على لغوي سلك مسلك ابن الأثير في ترتيب كتابه ، أي في جمعه بين الطريقتين . وحجة مجد الدين في ذلك تحدث عنها في مقدّمة الكتاب فقال[١٠١] : إلا أني وجدت في الحديث كلمات كثيرة في أوائلها حروف زائدة قد بنيت الكلمة عليها حتى صارت كأنها من نفسها ، وكان يلتبس موضعها الأصلي على طالبها ، لاسيا وأكثر طلبة غريب الحديث لايكادون يفرقون بين الأصلي والزائد ، فرأيت أن أثبتها في باب الحرف الذي هو في أولها وإن لم يكن أصلياً ، ونبهت عند ذكره على زيادته لئلا يراها أحد في غير بابها فيظن أني وضعتها فيه للجهل بها فلا أنسب إلى ذلك ، ولاأكون قد عرّضت الواقف عليها للغيبة وسوء الظن » .

(١٠١) مقدمة النهاية ١ / ١١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي كتابه جامع الأصول عدل عن الطريقة الأولى وأقام ترتيب مواد كتابه على صورة الكلمة دون النظر إلى الحروف الأصول ولم يحذف من الكلمة إلا الألف واللام التي للتعريف يقول[١٠٢] : ولم أضبط في وضعها الحرف الأصليّ من الكلمة فحسب ، إنما لزمت الحرف الذي هو أوّل الكلمة ، سواء كان أصليّاً أو زائداً ، ولم أحذف من الكلمة إلا الألف واللام التي للتعريف حسب » .

وكذلك نهج في ترتيب مادة كتابه المرصّع يقول في مقدّمته[١٠٣] : « ورتّبت ذلك جميعه على حروف المعجم ليكون أسهل مأخذاً وأقرب متناولاً ... والتزمتُ في الترتيب الحرف الذي في أول الكلمة زائداً كان أو أصليّاً ، ولم أسقط منها إلا الألف واللام التي للتعريف » .

وقد كان لهذا المنهج أثره فيمن جاء بعده ، فالصفدي (٧٦٤ هـ) أقام ترتيب مادة كتابه غوامض الصحاح[١٠٤] على أساس صورة الكلمة بحسب أوائل الحروف مع مراعاة الثواني والثوالث دون تجريدها من الحروف الزائدة .

فضلاً عن ذلك فقد تأسس منهجه على التمهيد لكتبه بمقدمات وافية يشرح فيها منهجه ويبيّن غرضه ومقصده ، ويدوّن فيها مصادره التي اعتمدها في تأليف الكتاب ويذكر أسماء من سبقوه في التأليف في الموضوع ذاته ، ويوجّه إليها نقداً يكشف بعض سلبيّاتها ، وغالباً ما يكون النقد موجها إلى منهج الكتاب .

---

(١٠٢) جامع الأصول ١ / ٥٩ .

(١٠٣) المرصّع ٣٥ .

(١٠٤) صدر عن معهد المخطوطات العربيّة بتحقيق الأستاذ عبد الإله نبهان .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ففي كتابه جامع الأصول يعقد الباب الأول منه للحديث عن الباعث في عمل الكتاب ، ويوزعه على مقدمة وأربعة فصول ، يتحدث في المقدّمة عن شغفه بطلب العلم منذ حداثة سنه ثم يتحدث عن أهمية علم الشريعة وأقسامه ويجعل معرفة اللغة والإعراب أصلاً لمعرفة الحديث لورود الشريعة بلسان العرب . ثم يتحدث عن أقسام علم الحديث ، وفي الفصل الأول يتحدث عن انتشار علم الحديث ، ويخصص الثاني للحديث عن بيان اختلاف أغراض الناس ومقاصدهم في تصنيف الحديث ، وفي الفصل الثالث يجعله في اقتداء المتأخرين بالسابقين وسبب اختصارات كتبهم وتأليفها . والرابع في خلاصة الغرض من جميع هذا الكتاب . وأما الباب الثاني فيجعله في كيفية وضع الكتاب وفيه ستّة فصول جعل الأوّل منها في ذكر الأسانيد والمتون ، والفصل الثاني في بيان وضع الأبواب والفصول ، والثالث في بيان التقفية وإثبات الكتب في الحروف ، والرّابع في بيان أسماء الرّواة والعلائم ، والخامس في بيان الغريب والشّرح ، والسادس فيما يستدلّ به على أحاديث مجهولة .

وفي مقدّمة النهاية في غريب الحديث التي بلغت عشر صفحات من القطع الكبير يتحدّث عن أهميّة علم الحديث ودواعي تدوينه ، ويسرد تاريخيّاً أسماء من صنّف في غريب ألفاظه ، ويوجّه إليها نقداً بعد أن يثني على مؤلّفيها . فكتاب أبي عبيدة معمر بن المثنّى في غريب ألفاظ الحديث والأثر كتاب صغير ذو أوراق معدودات[١٠٥] ويعلّل سبب صغره ، وكتاب الإمام ابراهيم الحربيّ ترك وهجر بسبب طوله وإن كان كثير الفوائد جمّ المنافع[١٠٦] وفي هذه المقدّمة يحدّد غرضه من الكتاب وهو

(١٠٥) النهاية ١ / ٥ .

(١٠٦) السابق ١ / ٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

معرفة الكلمة الغريبة في الحديث والأثر لغة وإعراباً ومعنىً لامتون الأحاديث والآثار وطرق أسانيدها وأسماء رواتها[١٠٧] ، ثمّ يشرح المنهج الذي سلكه في ترتيب مادّة كتابه

وتنطوي مقدمة المرصّع على المطالب الباعثة على تأليفه ، ويوجه نقداً اجمالياً للكتب المصنفة في هذا الضّرب ، ويتحدّث عن صنيعه في كتابه والمنهج الذي سلكه في ترتيب مادته . وتشغل المقدّمة خمس صفحات من الكتاب المطبوع .

ومن خصائص المنهج التأليفي عند ابن الأثير العناية بذكر مصادر كتبه وحسن استخدامها . وتوظيفها في البحث . وهي مسألة لاينفرد بها ابن الأثير ، وإنّما تشكّل إحدى مرتكزات المنهج التأليفي عند العرب ابتداء من القرن الرّابع الهجري .

فمن الحقائق المستقرّة في الحياة العلميّة عند العرب ، أنّ الرّواية الشفويّة ، كانت المصدر الذي يمثّل الأساس فيما نقل عن العرب من معارف وعلوم . وقد عني القدماء بها عناية فائقة تمثلت في اهتمامهم البالغ بإسناد كل خبر إلى راويه ، وكل قول إلى قائله ، وكل نص إلى منشئه ، واستمر هذا الاهتمام إلى مابعد عصر التدوين ، وقادهم ذلك ـ وما يتضمنه من ذكر المصدر وإيراد السّند ـ إلى تحري الدقة وتوخي الضبط ، ودفعهم للتلمذة على شيوخ العلم وأئمته .

وقد أدرك ابن الأثير ، العالم المحدّث هذه المسألة جيداً ، فلم يخرج عنها بتاتاً ، بل التزم بها في جميع مؤلفاته ، فاهتم بذكر مصادر مواد كتبه

---

(١٠٧) السابق ١ / ٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العلمية ، والتفت إلى تثبيت الأسانيد التي تحملها ، واحتاط ممن لم يوثّق علمه ، ونبّه على الآراء التي لم يستطع إسنادها ، ولم يطمئن إلى صحتها وأدى الأمانة العلمية حق أدائها فيما نقله من آراء ، وماأثبته من معارف وعلوم ، متسلحاً بقول سفيان الثوري[١٠٨] : الإسناد سلاح المؤمن ، فإذا لم يكن معه سلاح ، فبأيّ شيء يقاتل ؟ » . وسعى لتوفير أعلى درجات التوثيق لكتبه على ماتتطلبه رواية الحديث من ضوابط دقيقة .

ففي كتابه جامع الأصول ذكر سند الكتب الحديثية التي اعتمدها وعقد لها الباب الخامس من كتابه[١٠٩] . وأسند كل حديث إلى من أخرجه من أصحاب الكتب الستة ، فجعل للبخاري رمز (خاء) ولمسلم رمز (ميم) ولمالك رمز (طاء) وللترمذيّ رمز (تاء) ... الخ .. وفضلاً عن ذلك وخشية أن يسقط بعض العلامات من موضعه فيبقى الحديث مجهولاً لايعلم من أخرجه ـ كما يقول[١١٠] ـ ذكر في آخر كل حديث من أخرجه من الأئمة في متن الكتاب ليزول هذا الخلل المتوقع . كما ذكر أسماء المصادر التي عوّل عليها في شرح الغريب فذكر من كتب اللغة تهذيب الأزهري وصحاح الجوهري ومن كتب غريب الحديث ، غريب ابن قتيبة والخطابي ... الخ .. ويقول[١١١] : « وكل ما وجدته في هذه الكتب من معنى مستحسن ، أو نكتة غريبة ، أو شرح شاف أثبته بعد الاحتياط فيما نقلته ، ومالم أجده فيها ـ وإنه لقليل ـ ذكرت فيه مانسخ لي بعد سؤال

---

(١٠٨) جامع الأصول ١ / ١٠٩ .
(١٠٩) السابق ١ / ١٩٨ .
(١١٠) جامع الأصول ١ / ٦٢ .
(١١١) جامع الأصول ١ / ٦٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أهل المعرفة به والدراية » . ويوثق كلامه بشواهد لاتقبل الطعن ، وفي مقدمتها النص القرآني ، ثم كلام العرب من شعر ونثر ، ومالم يثبت منه لم يشرحه . يقول[١١٢] : « وكل كلمة لم أعرف شرحها أو كنت منها على ارتياب ، أثبتُّها وأخليت حذاءها لأثبت فيه شرحها » .

ويفعل الشيء ذاته في مقدمة كتابه النهاية من ذكر لمصادر كتابه ، ومن التزام أمين بالإسناد في أثناء عرض المادة العلمية ، والحق أن هذا الاهتمام بالمصادر وحسن استخدامها جعله يقترب كثيراً من المنهج الحديث . فالرجل ـ بادئ ذي بدء ـ يحيط بمصادر موضوعه إحاطة تامة ، فيوردها في مقدمات كتبه التي تعدّ وثائق تؤرخ للتأليف في موضوع الكتاب ذاته ، ولم يكتف بذكرها فحسب ، وإنما أحسن استخدامها ، والإفادة منها أكبر فائدة . وميّز بين المصادر المباشرة وغير المباشرة لموضوع الكتاب ، وجعل الأولى ـ كما يقتضيه المنهج الحديث ـ أساس مادة البحث أو الموضوع ، والثانية مساعدة تشتمل على فوائد تتصل بموضوع الكتاب نفسه . فالمصادر المباشرة في كتابه جامع الأصول هي كتب الصحاح الستة ، وغير المباشرة كتب الحديث بعامة ، وكتب الفقه واللغة .... ولم يستخدمها دون النظر فيها ، وإنما وعى منهجها ، وتمثل مادتها ، ووجه إليها نقداً كما رأينا سابقاً ، وقد بذل الرجل جهده في سبيل أن يوفر لكتبه كل مقومات المنهج العلمي السديد ، ويبعد عنها الخطأ ، ويدرأ عنها التصحيف الذي مُني به تراثنا وعُدّ آفة علمية لحقت به ، ولاشكّ أنّ ضبط الكلمات يؤمن معه اللبس ويمنع عن الكلمات التصحيف ويحيطها بالضمانات التي تقيها ذلك ، ويؤدي إلى صحة نطقها وسلامة أدائها ويصلها بطرقها العربية السليمة .

(١١٢) السابق ١ / ٦٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتتعدد في مؤلفاته أشكال الضبط وتتنوع ، وأغلب تلك الأشكال ضبط الكلمات بالعلامات المعروفة ، الفتحة ـ الضمة ـ الكسرة . ومنها : التنبيه على المعجم من الحروف نحو ابن خذام بالخاء المعجمة[١١٣] ، ومنه التصريح بالعبارة ببيان شكل ضبط حرف أو أكثر من حروف الكلمة فيما يشكل من كلمات مثل : الثبت ـ بالتحريك[١١٤] ـ وذو الرّقيبة ـ بفتح الرّاء وكسر القاف[١١٥] . وذات حبيس بفتح الحاء وكسر الباء الموحدة والسين المهملة[١١٦] . ومنه ضبط الكلمة بالتمثيل لها بكلمة أخرى أشهر أو بالميزان الصرفي : فالحزورة بوزن قسورة[١١٧] .

وكل هذه الأشكال معروفة متداولة في تراثنا ، ومستخدمة من قبل علمائنا بتفاوت فيما بينهم . إلا أن ماينفرد به ـ فيما نظن ـ أنه قد يلجأ إلى شرح الكلمة الواضحة التي لاتحتاج إلى شرح أو تفسير ليدرأ عنها مظنّة التصحيف . ففي النهاية في غريب الحديث[١١٨] في حديث عمر رضي الله عنه : أنّ امرأة نشزت على زوجها فحبسها في بيت الزِّبل . قال ابن الأثير : هو ـ بالكسر ـ السِّرجين ، وبالفتح : مصدر زبلت الأرض إذا أصلحتها بالزبل ، قال : وإنما ذكرنا هذه اللفظة مع ظهورها لئلا تصحف بغيرها فإنها بمكان من الاشتباه .

ومن خصائص منهجه في التأليف انتفاء ظاهرة الاستطراد فيه ،

(١١٣) المرصع ص ١٤٤ .
(١١٤) النهاية ١ / ٢٠٦ .
(١١٥) المرصع ١٦٠ .
(١١٦) المرصع ١ / ١٥١ .
(١١٧) النهاية ١ / ٣٨٠ .
(١١٨) السابق ٢ / ٢٩٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذه الظاهرة التي نراها بارزة في منهج التأليف عند العرب ، وخاصة الجاحظ ، وكان لهم في ذلك وجهة نظر ، فابن الأثير ملتزم بالموضوع الذي يعالجه لايتجاوزه ، متقيد بالفكرة التي يعرضها لايتعداها حتى يعطيها حقها ، ويوفر لها كل مستلزماتها ، ويسوقها بطريقة تكشف عن مقدرته الفنية على تناول الموضوعات وتحليلها وعرضها .

وقد قاده هذا الأمر إلى عدم تكرار المادة في الكتاب الواحد بل نراه حريصاً على ذلك في رسم منهج كتابه متيقظاً له ، متحاشياً إياه في كثير من مواضع الكتاب ففي مقدمة كتابه : جامع الأصول يقول[١١٩] : لما أردنا أن نذكر شرح لفظ الحديث ومعناه ، كان الأولى بنا أن نذكره عقيب كل حديث ، فإنه أقرب تناولاً وأسهل مأخذاً ، لكنا رأينا أن ذلك يتكرر تكراراً زائداً ... وإنْ نحن أوردناه آخر كل فصل أو باب جاء من التكرار مايقارب الأول .....

وقد دفعه ذلك إلى ربط أجزاء موضوع كتابه الواحد ، والتنبيه على ذلك في أثناء عرض المادة العلمية منعاً للتكرار ، وليقدم كل مايسهل على الباحث والدارس الوصول إلى مبتغاه من الكتاب . يقول في كتابه الجامع[١٢٠] : وسيجيء ذكرها في الفصل الثاني من الباب الثالث من كتاب البيع .

وهكذا كان منهج ابن الأثير في التأليف مؤسساً على ثوابت علمية واضحة ، تمثلت في الترتيب الواضح ، والمأخذ السهل ، ووحدة الموضوع ،

---

(١١٩) الجامع ١ / ٦٤ .

(١٢٠) السابق ١ / ١٤٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وانتفاء التكرار ، والتوثيق العلمي ، فظهر لنا مؤلفاً متميزاً متمكناً ، توافرت لكتبه مقومات المنهج العلمي الحديث ، مما يجعله يشغل منزلة رفيعة بين رجالنا العظماء وعلمائنا النوابغ ، وكتّابنا الأفذاذ ، جاء بجديد في مجال التأليف والتصنيف ، وأسهم في تطور منهج التأليف والبحث عند العرب .

مصادر البحث

- أتابكة الموصل ، عز الدين بن الأثير ، طبعة فرنسية ضمن سلسلة وثائق الحروب الصليبية .
- الأعلاق الخطيرة في أمراء الشام والجزيرة ، ابن شداد ، (الجزء الثالث) تحقيق يحيى عبارة ، وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٧٨ .
- الألفاظ الفارسية ، أدى شير ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٠٣ .
- إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٣٦٩ هـ .
- البداية والنهاية ، ابن كثير ، مطبعة السعادة بمصر .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ١٩٦٤ .
- تاريخ الأدب العربي ، بروكلمان ، (الجزء السادس) ، ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر . مراجعة الدكتور رمضان عبد التواب ، دار المعارف بمصر ١٩٧٧ .
- جامع الأصول في أحاديث الرسول ، ابن الأثير ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط مكتبة الحلواني ـ الملاح ، البيان ـ ١٩٦٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

- ذيل الروضتين ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، أبو شامة ، دار الجيل بيروت ط ٢ ، ١٩٧٤ .
- شذرات الذهب ، ابن العماد الحنبلي ، المكتب التجاري ـ بيروت .
- طبقات الشافعية الكبرى ، السبكي . المطبعة الحسينية بمصر ١٣٢٤ هـ .
- الفوائد البهية في طبقات الحنفية ، اللكنوي ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٤ هـ .
- قاموس فارسي عربي ، د . عبد النعيم محمد حسنين ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٨٣ م .
- الكامل في التاريخ ، عز الدين بن الأثير ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٥ .
- لسان العرب ، ابن منظور ، بولاق ١٣٠٠ هـ .
- مجلة الفكر العربي ، معهد الإنماء العربي ، بيروت العدد ٥٢ .
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، اليافعي ، مؤسّسة الأعلمي ، بيروت .
- المرصّع في الآباء والأمهات والبنين والبنات والأذواء والذوات ، لابن الأثير ، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي . بغداد ١٩٧١ .
- معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، دار المأمون ، القاهرة ١٩٣٨ م .
- معجم البلدان ، ياقوت ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٥ م .
- النجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ابن تغري بردي ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٨ هـ .
- النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير ، تحقيق الطاهر الزاوي ، محمود الطناحي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي . الأولى ١٩٦٣ م .
- وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة ـ بيروت .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net